مقدمة

فى كتابى «صناعة العداء للإسلام» أردت أن أنبه إلى ما يجرى فى الغرب من محاولات لتشويه صورة الإسلام، وما ينشر من أفكار ونظريات تثير الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين. فنقلت بعض ما قيل ونشر بالحرف، دون تدخل من جانبى بالإضافة أو الحذف لكى تكون أمام القارئ صورة أمينة لما يجرى فى الغرب من تحريض على الإسلام.

وكنت بذلك أرجو أن يدرك المسلمون أن هناك خطرًا حقيقيًا يتربص بهم ومعظمهم غافلون، ولم يكن قصدى أن أبعث الخوف فى قلوب المسلمين، أو أن أثير فيهم مشاعر الكراهية للغرب عملا بمبدأ المعاملة بالمثل كما يدعو البعض، لأنى أرى أن مقابلة الكراهية بالكراهية، والعداء بالعداء منافية لروح الإسلام ودعوته، وقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القدوة لنا فى التسامح والعفو.

كان هدفى أن أضع الحقيقة المؤلمة أمام الهيئات والمؤسسات والجامعات - والحكومات - فى الدول الإسلامية، لكى تتحرك، ويتحرك المفكرون المسلمون، ويبدءوا فى وضع استراتيجية لتصحيح صورة الإسلام والدفاع عنه. وكنت أيضا أريد أن أوجه النقد إلى هذه المؤسسات، وربما الاتهام أيضا، للتقصير فى أداء واجبها. وواجبها ألا تكتفى بالحديث إلى المسلمين لإقناعهم برسالة الإسلام ومبادئه، فإن الحديث إلى النفس لا يغنى عن الحديث إلى الآخر، والواجب أن نذهب نحن إلى الغرب - بأفكارنا ومفكرينا وأبحاثنا وإعلامنا - وأن ننظم قوافل تطوف بدول أوربا وأمريكا وتلتقى برجال الدين، وبالمفكرين، والباحثين فى الجامعات ومراكز البحوث، وبالكتّاب والصحفيين، وبرجال الحكم وقيادات الأحزاب، لتشرح - بالدليل والمنطق وباللغة التى يفهمها الغرب - حقيقة الإسلام، وتكشف زيف الدعايات المضللة عنه.

كنت أرجو أن تقوم المؤسسات الإسلامية بعمل منظم ودائم لإزالة آثار العدوان على الإسلام الذى استمر فى الغرب زمنا طويلا، منذ الحروب الصليبية، وحتى من قبلها. خاصة وقد لمست بنفسى فى زيارات ولقاءات فى أمريكا ودول أوربية مدى تأثير اتهام الإسلام بأنه ضد الحرية الدينية، فى زمن أصبحت فيه الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان أسلحة تشهر فى وجه الدول، واتهام شعب بمعاداة هذه المبادئ أصبح كافيا لتعرضه للعقوبات السياسية والاقتصادية، بل وللغزو العسكرى والاحتلال!

كنت أرجو أن تقوم هذه الحملة الإسـلامية المنظمة والدائمة على شـرح المبادئ الأساسية للعقيدة كمـا جـاءت فى القرآن الكريم حيث حرية الإنسـان هى الأصـل فى العقيدة ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (البقـرة ٢٥٦) و﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف ٢٩). وعقيـدة الإسـلام قائمـة عـلى أن حكمة اللـه وإرادتـه أن تتعـدد الديانات وتتعـدد الطـرق المؤدية إليـه فى النهـاية. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ٩٩). وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود ١١٨-١١٩). والمبدأ الإسلامى فى معاملة المسلمين مع من يختلفون معهم فى العقيدة، وحتى مع الكفار الذين لا يؤمنون بالله هو: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (الكافرون ٦).

واجب المؤسسات والمفكرين فى العالم الإسلامى أن يسارعوا بالتصدى للهجمة الشرسة التى تربط بين دين الإسـلام وبين الإرهاب والعنف. فقد نجحت الدعايات المضادة للإسلام فى تحويل الرابطة بين الإرهاب وبين من يقومون به كأفراد ضلوا السـبيل، ليجعلوها بين الإرهاب وبين المسـلمين فى عمومهـم، ثـم يجعلوها بين الإرهاب وبين أصول ومبادئ العقيدة الإسـلامية، مسـتغلين فى ذلك تشـويه مفهوم الجهاد فى الإسـلام والادعاء بأنه تحريض على محاربة غير المسلمين على الإطلاق ودون تمييز، حتى اسـتقر فى أذهان الغالبية من المثقفين والعامة فى الغرب أن الجهاد فى الإسـلام معناه العدوان، مع أن مفهوم الجهاد فى العقيدة الإسلامية مفهوم دفاعى، وليس مفهوما هجوميا أو عدوانيا. بل إن الله يدعو المسلمين إلى العفو عمن يسئ إليهم، وإذا عاقبوا فلا يزيد العقاب عن المثل. ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ (النحل ١٢٦). وإذا قبل المعتدى السلام العادل، فإن أمر الله للمسلمين أن يقبلوا ذلك: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ (الأنفـال ٦١) و﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (النساء ٩٠).

هذه المبادئ الإنسـانية الراقية التى تمثل أقصى ما يمكن أن تصل إليه العلاقات بين الناس على اختلاف عقائدهم، وبين الدول والشـعوب، هى التى يحتاج الغربيون إلى تفهمها، وهذا ما يفرض على المؤسسـات الإسلامية – وعلى رأسها الأزهر الشريف قلعة الإسلام الكبرى – مخاطبة الغرب بلغته، وليس بلغتنا، للرد على كثير من الاتهامات الظالمة مثل اتهام الإسلام بأنه يدعو إلى التواكل والكسل، أو أنه السبب فى تخلف المسلمين عن ركب الحضارة والتحديث، أو أنه يتعارض مع القيم الحضارية والإنسـانية.. ويحرم المرأة من حقوقها الإنسـانية إلى آخر ما فى قائمة الاتهامات التى أوردت الكثير منها فى كتاب (صناعة العداء للإسلام).

فى هذا الكتاب كنت أريد أن أقدم للمسلمين عريضة الاتهام الموجهة لهم ولدينهم كما هى منشورة فى كتب ومقالات وأفلام منتشـرة فى الغرب، وعلى ألسنة بعض كبار القادة والسياسيين أيضا، لكى

أســتثير الحمية للدفاع عن دين الله، خاصة وأن العداء للإســلام والمســلمين ليس مقصورا على الفكر والشاعر والمعتقدات، وإنما له نتائج خطيرة تؤثر فى حياة واستقلال ومستقبل المسلمين وبلادهم.

كنت أريد أن أنبه إلى خطأ الأسلوب الذى تتبعه الهيئات والحكومات الإسلامية بإرسال مفكرين إلى بعض البلاد الغربية لبضعة أيام، ليلتقوا بعدد من المفكرين ويشــاركوا فى حوار هنا أو هناك، ويقولوا كلمتهم، ثم يعودوا إلى بلادهم، وينتهى الأمر عند هذا الحد، وكأن هذه الرحلة، أو الندوة، أو هذا الحوار هو عصا موســى التى ســتقضى على المؤامرة الكبرى على الإسلام. خاصة وقد أصبحت نظرية صراع الحضارات فى الغرب عقيدة تحرك السياسات والجيوش، وأصبحت دعوة صاحب هذه النظرية (صمويل هانتنجتون) هى المحرك للدول الكبرى للضغط على الدول الإسلامية بكل الوسائل لتغيير بعض المبادىء فى العقيدة الإســلامية وغرس منظومة متكاملة من القيم الغربية لتحل محل القيم الإســلامية، ويكون ذلك – كما قال هانتنجتون – الضمان لتحديث المجتمعات الإسلامية لكى تذوب الحضارة الإسلامية فى الحضارة الغربية وينتهى الصراع بين الحضارتين!

ولقــد اكتفت الجهود فى العالم الإســلامى بإعلان الرفض لنظرية صــراع الحضارات والقول بأن الإسلام يدعو إلى حوار الحضارات والشعوب، وكان من الطبيعى ألا تصل هذه الرسالة إلى الغرب، وما زالت هذه المهمة تنتظر من يقومون بها بشــجاعة ومثابرة، ولا يكفى أن يقوم بها داعية واحد أو عشــرة من الدعاة، فهى مهمة تحتاج إلى انتشــار، وإلى النفس الطويل، كما تحتاج إلى تخطيط، وتنسيق وتمويل، وحشد الكفاءات المؤهلة لمخاطبة العقل الغربى. كما تحتاج إلى إنشاء مراكز علمية إسلامية فى الغرب وترجمة كتب العقيدة والفقه والأخلاق الإسلامية إلى اللغات المختلفة.

هذا ما كنت أهدف إليه من كتابى (صناعة العداء للإســلام). وبعده شــعرت بأن واجبى أن أقدم الجانب الآخر من الحقيقة، وهو أن فى الغرب مفكرين وباحثين لهم قيمة وتأثير، درســوا الإسلام بموضوعية وبدون تحيز، فاكتشــفوا ما فيه من قيم تقدمية وحضارية وإنسانية كبرى، ولم يترددوا فى إعلان ذلك، ولم يتوانوا فى الدفاع عن الإسلام.

وكما أن المســلمين فى غفلة عن أعدائهم، فإنهم أيضًا فى غفلــة عن أصدقائهم. فلم يهتموا بدعوة هؤلاء المنصفين للإســلام، وتكريمهم، والمساهمة فى نشــر أفكارهم بكل وسائل النشر، حتى تكون موجة الإنصاف قادرة على مواجهة موجة العداء الظالمة.

لذلك رأيت أن أشــير إلى بعض هؤلاء الذين أنصفوا الإســلام من الغربيين، تعريفا بهم، وتحية لهم، واعترافا بفضلهم.

وأرجو أن أكون قد وفقت.

وما توفيقى إلا بالله.

رءوف البنا